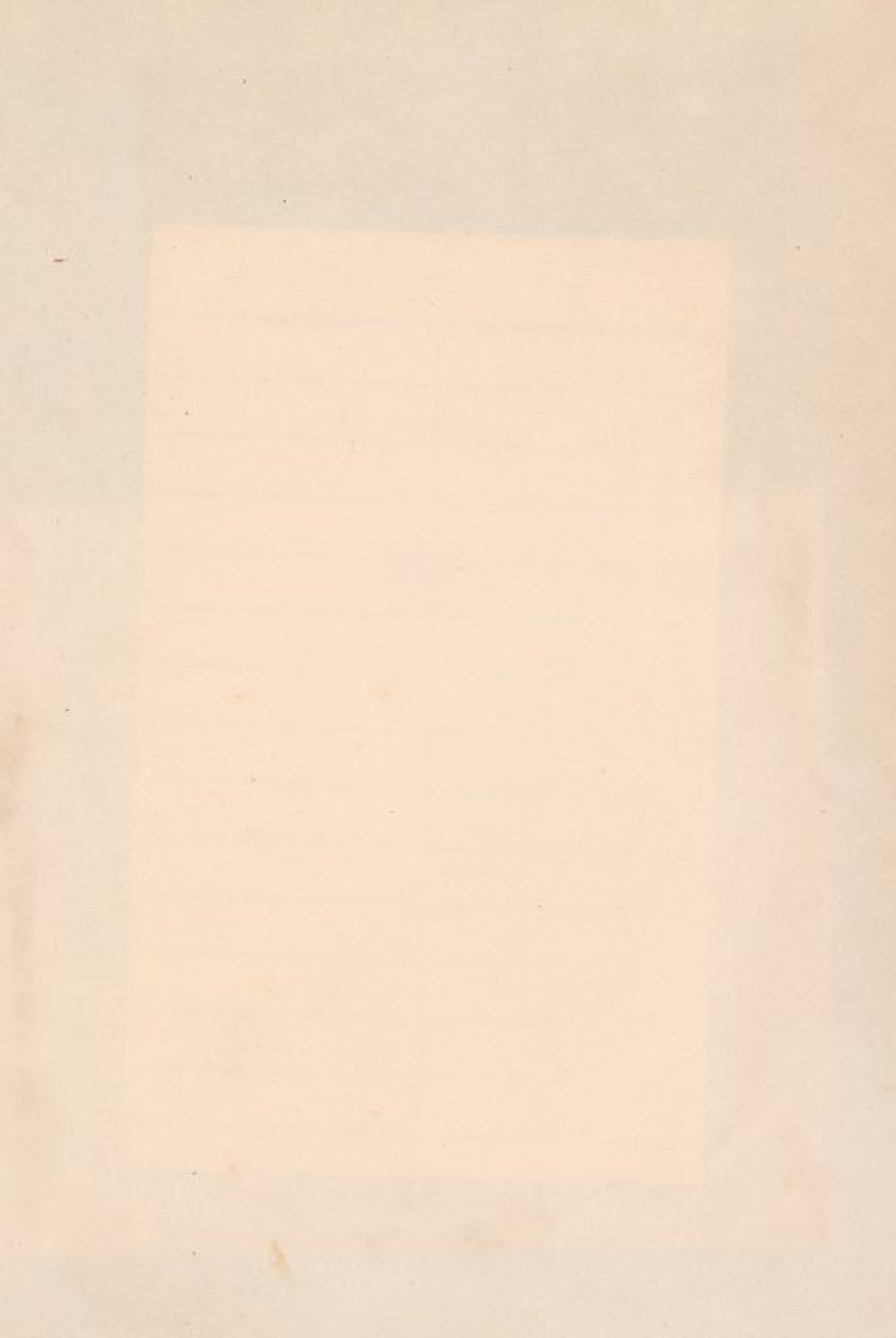
هنانو

الوضع السياسي والاجتماعي لبلاد حوض البحر المتوسط





الوضع السياسي والاجتماعي

لبلاد حوض البحر المتوسط

الدكتور

فوزي هنانو

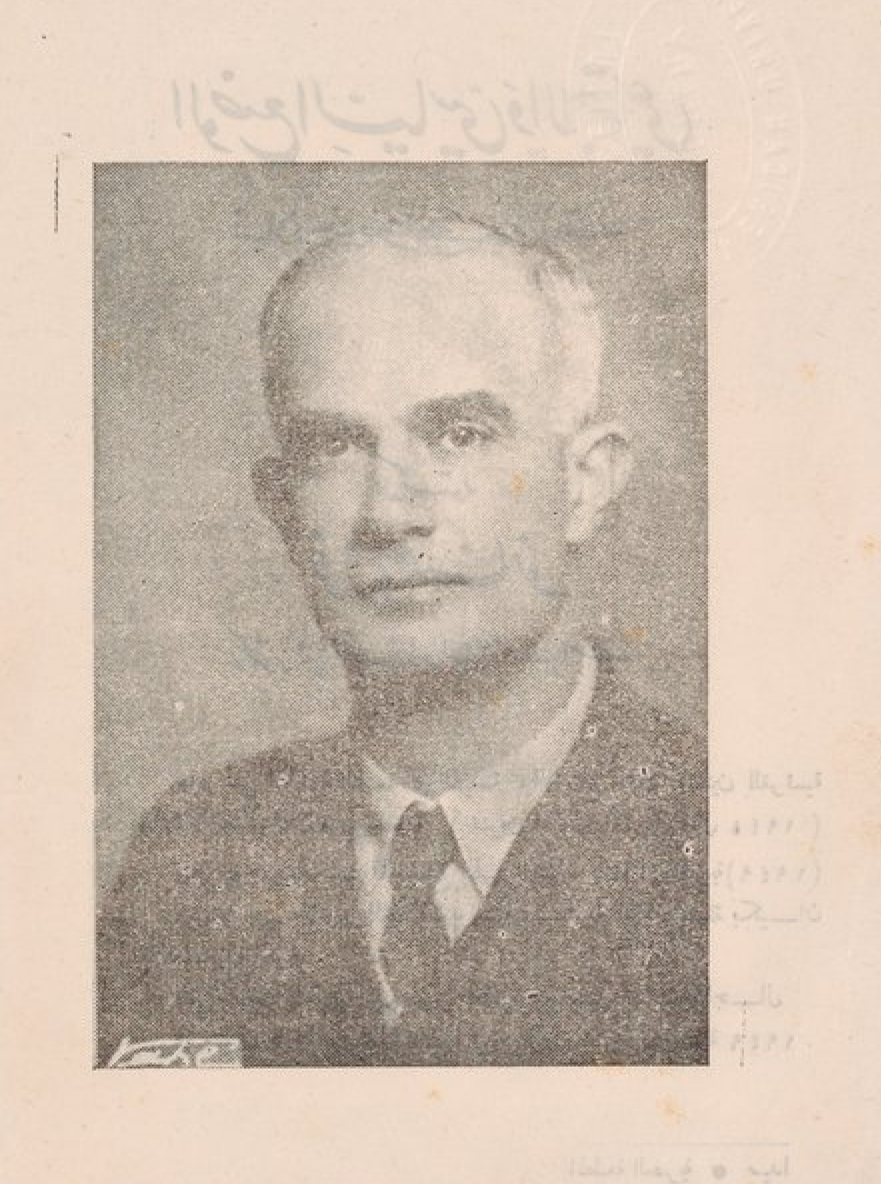
دكتور في الفلسفة والعلوم السياسية

هذه هي المحاضرة التاسعة في السياسة والاجتماع القيت باللغتين الفرنسية والانكليزية في لندن وبروكسل (تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٤٨)
وهي جزء من الكتاب الموضوع بنفس العنوان باللغة الانكليزية (١٩٤٩)
وتشتمل على ملاحق بالمعاهدات والبيانات السياسية الهامة المتصلة بكيان بلاد الشرق العربي .

القي ملخصها بالعربية على صورة مختصرة مع بعض تصرف واجمال في منتدى كلية المقاصد الاسلامية في صيدا في كانون الثاني سنة ١٩٤٩

المطبعة العصرية • صيدا

١ / ١٩٥١



بداءة

طلب إليّ حضرة المربي الفاضل ، الاستاذ شفيق النقاش مدير كلية المقاصد الاسلامية في صيدا ، ان القي محاضرة في منتدى الكلية ، فلبيت الطلب ، ورأيت ان اجدى موضوع يلقى على شباب الامة الناهض هو ذلك الذي يذكرهم جميعاً بماضي هذه البلاد الاجتماعي السياسي ، وبالمآسي التي مرت على هذا الوطن العربي الذي ما يزال متعطشاً لحرية حقيقية واستقلال تام لا تتناولهما ايدي العبث ، ففعلت ، واجملت العوامل التي كان لها الأثر الفعال في يقظة الامة ، ذاكراً باختصار ما تهم معرفته من عهود ومواثيق ، لو شاء لها القدر ان تنفذ باخلاص ، لكان لهذه البلاد العربية جمعاء ، غير هذا الحاضر المؤلم . راجياً ان اكون قد وفقت للقيام ببعض الواجب .

واری ان أشير هنا الى ان كتابي :

الوضع السياسي والاجتماعي لبلاد حوض البحر المتوسط

قد أنجز طبعه باللغة الانكليزية ، وسيكون وشيك النشر ، كما ان ترجمته الى اللغة العربية ستكون جاهزة عما قريب ، وها انذا بعد ان اضفت الى هذه المحاضرة ، بعض معلومات ضرورية عامة ، وفقرات عن الجامعة العربية وبعد ان وضعت في عدة ملاحق اثبتت في منتهى هذه الرسالة ، ملخص وتفصيل غير واحدة من المعاهدات المشار اليها في متن هذه المحاضرة ، اقوم بنشرها تلبية للطلب لتضاف الى اخواتها اكمالا للحلقة ، واتماماً للفائدة .

١٨ كانون الثاني سنة ١٩٥١

م . فوزي الشمالي

الوضع السياسي والاجتماعي لحوض البحر المتوسط

المقدمة

سادتي

عنوان حديثي هـــذا هو نفس عنوان اطروحتي في العلوم السياسية (الوضع السياسي والاجتماعي لبلاد حوض البحر المتوسط) . على اني سأتشرف الآن بتقديم خلاصة من جزئيات ناحية من تلك الاطروحة ، آملا ان يسعدني الحظ فاعود لايفاء الموضوع حقه ، ولاكمال الحديث في فرصة اخرى . ولما كانت هـذه البقعة داخلة ضمن نطاق البلاد الموضوعة البحث في الاطروحة السالفة الذكر، كان من البديهي ان يتناولها الحديث مقدمة على غيرها .

وضع البلاد الجغرافي والسياسة الاقليمية

اعتقد شخصياً انه من سوء طالع هذه البلاد (سوريا ولبنان) ان لها من موقعها الجغرافي والاستراتيجي ما يجعلها محط انظار ساسة العالم اجمع ، فلقد خلعت عليها الطبيعة رداء فياضاً بالبهاء والجمال: سماؤها صافية براقة ، واقليمها طيب المناخ معتدله مما يصلح لكافة الامزجة والاجسام تقريباً ، ومناظرها فتانة خلابة تستهوي النفوس ، وهي مع هـــذا كله معمورة لدرجة يسهل معها على كافة الطبقات ارتيادها التماساً للراحة او طلباً للاستشفاء . واما تربتها فغنية خصبة مشحونة بما عز وجوده في البلاد

الاخرى من معادن صالحة للصناعة، ولا سيما ذلك السائل الذي كلما ذكر، يسيل له لعاب الدول المستعمرة، واعني به البترول الذي يعتبر وجوده في هذه البقعة وماجاورها من البلادالعربية نذير شؤم من الناحيةالسياسية، وعامل شقاق، مع انه مصدر ثروة عظيمة لا يستهان بها؛ ولو ان البلاد مهيئة لاستثمار ذلك الكنز بمعرفـــة ابنائها، او ان لهؤلاء الخبرة الكافية والمقدرة والنفوذ الفنيين، لاتيح لهذه الشعوب العربيـة انتستقل، حقيقة، بشؤونها، وان ترى من الازدهار السياسي والاجتماعي والعمراني ما لم تره شعوب اخرى. ولكننا لسوء الحظ محرومين من هـذه العوامل رغم ان لنا من نفوذنا الأدبي والخلق والذكاء الفطريين ما يؤهلنا لاكتساب كافة الوسائل الفعالة لخلق جو صناعي حافل بمختلف وسائل الانتاج. ولكن هي السياسة، سياسة قرون مضت وخصوصاً ربع قرن خلا فرقت بين مختلف العناصر، وبذرت بذور الفساد، وجعلت الاجماع بالرأي وتوحيد الكلمة، امراً شاقاً عسيراً. كما توصلت بوسائل المداهنة والاغراء ان تغرس حب جمع الثروة والطمع في المـادة في رؤوس الرجال العاملين، محببة اليهم الذهب الوهاج، فشذوا عن الطريق، واصبحوا يرون في جمع المـال قبلتهم، غير متورعين عن سلوك اي طريق يلمسون فيها ضالتهم المنشودة، ولا بأس في نظرهم ان تكون الطريق صالحة او شائكة، غير آبهين بما يحتمل ان تجر طريقة سلوكهم من ضرر للمجتمع الذي يعيشون في وسطه، او من شلل قد تصاب به البلاد مادياً وادبياً ومعنوياً، فهم طالبو منافع شخصية، ولا فرق لديهم ان تؤمن هذه المنافع عن طريق زيد الطامع او عمرو الغازي الفاتح، وقـد يؤدي بهم حرصهم على المنفعة الى الهلاك ولكنهم لا يكترثون.

الطائفية والنهج الحزبي : لمحة عابرة

لقد كانت هذه البلاد كالمتاع او كالسلعة تتناولها ايدي المتعرضين والمستعمرين الفاتحين في شتى العصور . والمعلوم انها كثيراً ما كانت نذير خطر داهم ، ومجلبة لمتاعب كثيرة ناءت تحت عبئها الدول التي استولت عليها ، وذلك لأنها تحوي مختلف العناصر والنزعات المذهبية والسياسية والاجتماعية ، زد على ذلك الوافدين من البلاد المجاورة الذين اكرهوا على ترك ديارهم بشتى الأساليب والصور ، والذين كانوا غالباً عناصر شغب وفساد استخدمتها السلطات القائمة على شؤون البلاد ، فجعلت منهم سماسرة سوء ، وآلة تخريب وتهديم ، مما ادى الى وقوع مظالم انتجت ثورات دامية استمرت ردحاً غير قصير من الزمن . على ان هذه المصاعب التي احدثت جواً قاتماً مشحوناً بالفتنة والصدام الدامي اوجدت تسانداً وتكاتفاً قويين بين مختلف العناصر ، والفت قلوب الاحزاب والفرق المتنافرة التي ازيح عن اعينها ذلك الستار الكثيف ، فجعلت ترى بنظرها السليم ان تأمين مستقبل البلاد لا يكون إلا عن طريق نبذ العداوة المتأصلة في النفوس ، وازالة الاحقاد الموروثة التي كانت ملء الصدور ، والعمل بصدق واخلاص لخلع نير العبودية والتمتع بالوطن وخيراته وتربته دون ما شريك . ان هذا الانفجار المتولد عن الشعور بالواقع ، اوجب القيام بعمل حاسم ، فتألفت احزاب ذات كيان سياسي بدأت عملها سراً ، ثم ما برحت ان ضاعفت جهودها في نهاية الحكم العثماني . لقد فقدت هذه الاحزاب زهرة رجالها ولكنها اسمعت صوتها وبرهنت على ان هنالك شعوراً مطرد النمو بنهضة استقلالية رامية لتحرير البلاد .

نشوء الحركة السياسية وقيام الثورة

كان العمل السياسي البارز الاول مساعدة الحلفاء اثناء حرب ١٩١٤ – ١٨ والاشتراك معهم، فعلا، فيها ضد الحكومة العثمانية، وذلك باضرام نار التمرد والثورة ضد السلطات التركية فكانت العامل الاكبر بل الوحيد لتفكك عرى تلك الامبراطورية. وعلينا الآن ان نأتي على وصف مجمل الوقائع السياسية التي كانت مداراً لقيام الشعوب العربية بثورتها تحت لواء ساكن الجنان المغفور له الملك حسين بن علي، فنقول: «إنه بعد مخابرات ومذكرات طويلة متصلة بين الملك حسين والحلفاء وبالخاصة مع بريطانيا العظمى وعد السر هنري ماكماهون باسم حكومته ان يكون للبلاد العربية، وهي المعروفة حالياً بالعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن، حق تقرير المصير والاستقلال التام مع بعض تحفظات اتت على ذكرها بعض البروتوكولات لا تخرج عن ذلك النطاق إلا بما يتعلق ببعض امور فنية وعسكرية خاصة، وهـذا ما بعث النشاط في مختلف الجبهات العربية، وكوّن اتحاداً خطيراً اقتطفت ثماره، وكانت اشهى ثمرة تلك التي قطفها الحلفاء الذين رأوا تلك الحرب تنتهي بهزيمة المانيـا وحليفاتها، هذه الهزيمة التي كانت من اولى مسبباتها الثورة العربية، فان هذه الشعوب التي بقيت تحت السيطرة العثمانية زهاء خمسة قرون، والتي خبرت مواطن الضعف في من كانوا اذ ذاك اسياد البلاد، والتي هي اعلم ببلادهم تمكنت، على الرغم من ضعف قوتها الحربية فنياً، من احراز فوز باهر لم يكن ينتظره العارفون والخبراء السياسيون. فما ان اتو على نتيجة جهادهم حتى باتوا يترقبون ان يكونوا اسياداً في بلادهم، احراراً في تقرير

مصيرهم لاينازعهم في ادارة شؤونهم منازع ، ولكنهم ويا للأسف اصيبوا بخيبة امل بالغة ، ومروا بتجربة قاسية علمتهم درساً في السلوك السياسي ، واظهرت لهم مقدار ما يكنه القوي من رغبة في حفظ حق الضعيف ، ومن القيام بما تعهد به قولا وتحريراً . لقد ادرك العرب والعالم اجمع معهم ان لا قيمة لوعود تطغى عليها المطامع الاقليمية والسياسية، وانه لاحول لشعوب تستند لاظهار حقها ونيل استقلالها على معاهدات تتناولها السياسة العالمية بالتحريف والتبديل ، حتى والالغاء اذا اقتضت مصلحة من يعنيهم الامر وظروفهم ، كما هزت هــذه الحقيقة بقية الشعوب العالمية الصغيرة وجعلتها تعمل على لمّ شعثها وجمع كلمتها .

المعاهدات والمساومات السياسية

تضارب المصالح الالمانية الانكليزية الفرنسية

ولكي نلقي بعض الضوء على المسألة العربية بوجه عام ، وعلى المسألة السورية اللبنانية بوجه خاص ، أرى أن آتي فيما يلي على بعض التفاصيل الضرورية ، وإيضاح نقاط تتعلق بالمعاهدات السرية المعقودة بين الدول، خصوصاً ما تم عقده منها خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٩ ماساً هذه البلاد ، ولكني قبل ذلك أود أن أجمــل موقف المانيا من البلاد العربية قبل نشوب الحرب المذكورة وذلك تمهيداً وتوطئة لفهم مؤدى المعاهدات السرية الملمع اليها .

كانت الحكومة الالمانية قد نالت من الدولة العثمانية امتياز تمديد خط حيدر باشا الى بغداد ماراً بحلب فالموصل ، وتمديد فرع من حلب الى الاسكندرونــة وآخر الى الفرات ، كما كانت تريد التوسع في

مشروعها هذا بتمديـــد خط حلب الموصل بغداد الى البصرة ، والوصول الى شط العرب والخليج الفارسي بهذه الطريقة . وكان من جراءذلك أن أبدت انكلترة مخاوفها من هذه المشاريع وسارعت في الاحتجاج عليها للحكومة العثمانية ، كما فعلت فرنسا مثل ذلك تضامناً مع انكلترة. واسرعت هذه الأخيرة لبسط نفوذها وحمايتها على الكويت، وحددت الحكومة العثمانية المشروع الالماني ، فجعلت الخط يصل الى بغداد فقط ، كما أنها لم تسلم بمد خط حديدي الى الاسكندرونة ومثله الى الفرات إرضاءً لانكلترة وفرنسا .

بعد هذه المقدمة اعود لذكر المعاهدات السرية المعقودة عقب اعلان الحرب العالمية الاولى التي أوجبت اعادة النظر في تحديد نفوذ الدول المتحالفة في مناطق النفوذ داخل البلاد العثمانيـــة . فبعد ان شرعت الحكومات الثلاث البريطانية والروسية والفرنسية بمفاوضات عديــدة طويلة ، وبعد تذليل عقبات كبيرة اعترضت سبيل تلك المفاوضات ، وصلت الدول الثلاث خلال شهر آذار ١٩١٥ الى عقد معـــاهدة سرية خولت فرنسا حق مد نفوذها في سوريا حتى حلب ، وشمالا الى ما وراء هذه الحدود متضمنة كيليكيا وشمالا العراق مع قسم من داخل بلاد الاناضول ، وخولت انكلترا حق توسيع منطقة نفوذها شاملة جميع سواحل فلسطين . وبهذه المناسبة ابدت انكلترا رغبتها بان يعامل العرب في داخل سوريا معاملة مبدأها الاستقلال في الشؤون الداخلية ، ولم تعارض روسيا في ذلك . وتنفيذاً لأحكام المعاهدة المذكورة عقدت انكلترا وفرنسا معاهدة في ايار ١٩٢٦ تضمنت وصفاً لكيفية تنفيذ تلك الاتفاقات . غير ان فرنسا شعرت اثر ذلك بان لدى الحكومة البريطانية فكرة

ارادت تحقيقها في كيليكيا باحتلال الاسكندرونة راغبة في ذلك بان لا تدع للالمان ممرا الى مصر كما كانت ترغب بان تتفق مع الشريف حسين وقتئذ تشجيعاً لقيامه بثورة على الاتراك ، ففتحت باب المفاوضات مع انكلترا بغية الغاء هذين المطلبين ، ولكنها فشلت في حمل انكلترا على التخلي عن اتفاقها مع الشريف حسين ونجحت جزئيا بجعل انكلترة تترك جانباً قضية احتلال الاسكندرونة ولو من أجل مسايرة فرنسا وارضائها منعاً لنشوب ازمة تعطل سير الحرب .

محادثات ماك ماهون لانشاء دولة عربية مستقلة

حينئذ بدأت المشاورات والمفاوضات الفعلية لانشاء دوله عربية مستقلة ، وذلك بعد أن تأكد الانكليز أنه لا بد لتحقيق ذلك من حد مطامعهم ومطالبهم في البلاد العربية . وأثناء البحث عن كيفية احداث الثورة العربية وعن المكان الأوفق والأنسب لنشوبها ، وجد ان الأفضل قيامها في الحجاز لبعد هذه البلاد عن خطوط المواصلات التركية والالمانية ، ولأنه يسهل على الالمان والاتراك امداد جيوشهم في سوريا ولبنان ، بعكس الحجاز . فكان من الأسهل جعل نواة الثورة والحركة العربية في البلاد الحجازية ، ولذا كان من الطبيعي أن تبدأ المفاوضات مع الشريف حسين . على ان الحكومة البريطانية كانت تدرك بداهة ، بأن مثل هذه المفاوضات قد تثير مخاوف فرنسا بشأن حقوقها في سوريا ولبنان حسبما نصت عليه اتفاقات سنة ١٩١٢ ولذلك مهدت للأمر بأن أوعزت لمندوبها السامي في مصر بأن يتحدث الى ممثل فرنسا فيها بهذا الشأن ، وأن يبدي مخاوف الحكومة البريطانية من امكان قيام السنوسيين من الغرب ،

والالمان والاتراك من الشرق ، بالهجوم على البلاد المصرية . وأنه درءً لهذه المخاوف يجب التسليم بوجوب انشاء حكومة عربية مستقلة . وجرى هذا الحديث بين الممثلين فعلاً في بداية شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥ كما ان وزير الخارجية البريطانية ، وكان إذ ذاك السر ادوارد غراي تحادث مع المسيو كامبون سفير فرنسا في انكلترا مؤكداً ذلك وطالباً من فرنسا التساهل بالتخلي عن بعض الاماكن السورية لجعلها تحت نفوذملك الدولة العربية العتيدة وسيادته . كما ايد ذلك السر ارثورنيكولسون ممثل انكلترا واعداً بعدم اعتراض حكومته على وضع الاسكندرون واضنه وكيليكيا تحت سلطة فرنسا رغما عن اعتراض اللورد كيتشنر ، وان تخوّل الحكومة البريطانية لقاء ذلك حق ايصال السكة الحديدية الى حيفا . وأبدت تساهلا بوضع لبنان وبيروت وقسما من الساحل تحت سلطة فرنسا مؤكدة رغبتها في أن ترى سوريا داخلة في نطاق الدولة العربية العتيدة .

حدود الدولة العربية العتيدة وصلاحياتها : فلسطين

كانت هذه المباحثات تجري في عين الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات مع الشريف نفسه ، وكان قد بدأها السر هنري ماكماهون نائبا عن الحكومة البريطانية في مصر في اوائل شهر حزيران سنه ١٩١٥ وكانت اول مذكرة ارسلها الشريف حسين للسر هنري مؤرخة في ١٤ تموز سنة ١٩١٥ وتتضمن قبول القيام بالثورة ضد الاتراك شريطة تنفيذ مواد اساسية وضعها الشريف ، ونواة هذا المواد اعتراف الحكومة البريطانية بأن البلاد العربية بأجمعها تكوّن دولة مستقلة . وبيّن حدود

هذه الدولة بأنها من حدود كيليكيا حتى البحر الهندي ، ومن ايران وخليج فارس والبصرة حتى البحرين : المتوسط والأحمر . وأضافت المذكرة الاعتراف لبريطانيا بالاولية بكل المشاريع الاقتصادية وفاقاً لمعاهدات خاصة تعقد . كما أيد وضع عدن الراهن .

طال الأخذ والرد بين الشريف والسر هنري عن قضايا الحدود ، وانتهى بأن اجاب ممثل بريطانيا المشار اليه خلال شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥ بأن كيليكيا والمواقع السورية الكائنة غربي دمشق حمص حماه حلب يجب أن تكون خارج الحدود المبحوث عنها في مذكرة الشريف حسين الآنفة البيان فرضي الشريف بذلك ، ووعدت بريطانيا بالاعتراف باستقلال العرب وتقديم المساعدة الفنية والارشادات اللازمة للدولة الجديدة ، وفي حماية الأراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي . كما أشار الى ان لفرنسا مصالح في أجزاء سوريا التي تقع غربي دمشق وحمص وحماه وحلب . فأبان الشريف بوضوح أنه وان يكن بالامكان التساهل في قضية كيليكيا ، لكن التنازل عن بيروت والسواحل السورية غير ممكن لأنها عربية بحتة ، وانه لا فرق هنالك بين المسلم والمسيحي لأن كليهما عربي ومن نسل واحد متمتعين بنفس الحقوق ، وعليهما نفس التبعات والواجبات .

هذا ولا يفوتنا ان نذكر هنا ان الحكومة الفرنسية رغبة منها بأن تكون عالمة بالمحادثات الجارية في انكلترا عن قضية البلاد العربية ، أوفدت اثنين من رجالها السياسيين البارزين المطلعين على شؤون البلاد العربية ، وهما المسيو جونار والمسيو جورج بيكو ، وهذا الأخير كان قنصلا عاما لفرنسا في بيروت ، وعلى علم بالحركة الفكرية في لبنان وسوريا ،

كما أن انكلترا كانت الحقت بالوفد المفاوض السر مارك سايكس السياسي المستشرق المشهور الذي، رغما عن كونه يعد نفسه مـــن انصار الحركة العربية ، كان في كثير من النقاط والتفرعات على خلاف مع اللورد كيتشنر زعيم فكرة البحث العربي ومساعديه امثال ما كماهون وويلسون ولورنس و كليتن و كورنوالس. ولذلك انضم الى سياسة القائلين بالتفاهم مع فرنسا والتساهل معها في تقرير مصير البلاد العربية وخصوصا سوريا ولبنان . ولما كانت روسيا في ذلك الوقت في صفوف الحلفاء لم يكن هنالك مندوحة عـن مراعاة رغباتها ، وبعد مشاورات سرية بالغة الكتمان اتفق على النقاط الرئيسية التالية وهي :

١ ـ ترك فلسطين وسواحلها وبغداد والبصره وملحقاتها الى انكلترا.

٢ ـ تخويل فرنسا حق الاحتفاظ بلبنان والاشراف عـــلى بعض شؤون سوريا الداخلية اي المدن الاربع: دمشق، حمص ، حماه ، حلب . وكانت فرنسا الحت بالحصول على ذلك خوفا من تسرب النزعة الاستقلالية من سوريا الداخلية الى المنطقة الغربية الساحلية التي تركت لها .

٣ ـ اطلاق يد فرنسا في كيليكيـــا والاسكندرون واعطاؤها الموصل . وكانت انكلترا تعارض فكرة اعطاء الموصل لفرنسا غير انها اضطرت ان توافق على ذلك لما لمست من روسيا رغبة في الاستيلاء عليها. كما كانت روسيا تتخوف من استيلاء انكلترا على الموصل فكانت هـذه المخاوف سببا في حصول فرنسا على تلك المنطقة . ولما انسحبت روسيا من الحرب واستولى البلاشفة على الحكم ، رأت انكلترا انه لم يعد مـا يمنع اعادة النظر في هذا البند من المعاهدة واستيلائها على الموصل . وبعد مخابرات رضيت فرنسا بالتخلي عن الموصل لانكلترا لقاء حصة جزئية من

منابع البترول . كما ان انكلترا رأت في الوقت نفسه انه لم يعد هنالك مرجب لانفاذ رغبــة روسيا بجعل الاماكن المقدسة في فلسطين تحت اشراف دولي ، فضمتها الى منطقة نفوذها وحصلت فرنسا لقاءها على حرية العمل في سوريا كما سبق القول رغما عن ان اتفاقية سايكس بيكو نفسها لم تكن تضمنت ذلك. ولكن رغبة الحليفتين انكلترا وفرنسا بالاتفاق قطعا لدابر الخلاف بينهما ادت الى ان تقبلا رتسلم برغباتها المتبادلةمنساقتين الى ذلك بتأثير الظروف العالمية .

اثر النزعات الشعبية الاستقلالية في المساومات النهائية بين فرنسا وانكلترا

على ان الدولتين الحليفتين فرنسا وانكلترا لم تحسبا حسابا للنزعات الشعبية وخصوصا فرنسا التي حصلت على القسم الاكبر من البلاد العثمانية ، فما كادت الحرب تضع اوزارها حتى شعرت بتولد روح المقاومة لدى الاتراك والعرب وظهور النهضة القومية في تركيا وتقهقر الجيش اليوناني من الاناضول . وكان الانكليز يمدون اليونان بالمساعدة الفعالة مزودين جيوشها بالعتاد والمواد الحربية ، مما جعل فرنسا تشعر برغبة انكلترا ببسط نفوذها داخل البلاد التركية. الامر الذي يتعارض مع سياستها فعملت على مساعدة تركيا سرا وتشجيعها . وكان من اثر ذلك تقهقر الجيش اليوناني وانسحاب الحلفاء من المضايق ، فتركت فرنسا اثر ذلك كيكيليا لتركيا محتفظة بسوريا ترجيحا وعملا برأي روبير ده كيه واشياعه الذين وان كانوا يقرون بافضلية كيليكيا على سوريا من الوجهة المادية والجغرافية ، ولكنهم رأوا ان الاحتفاظ بسوريا مـــن شأنه حفظ كرامتهم لأنهم

يعتقدون ان لهم في البلاد السورية تقاليد وروابط معنوية تجعلهم يحتفظون بها . وهكذا قضي على الوعود المقطوعه للشريف حسين بشأن عدم مس استقلال البلاد العربية ومنها سوريا الداخلية اذ اضطرت انكلترا لمسايرة فرنسا بعد مساومات سياسية انتهت باقتناع الطرفين بقبول هذا الحل المستند الى المنافع المتبادلة ، غير مهتمين بما ينتج عنه من غبن وجور للشعوب العربية التي انما ناضلت في سبيل الحصول على استقلالها وسيادتها.

مما تقدم نرى ان اتفاقية سايكس بيكو كانت من اشد الاتفاقيات السرية خطراً على كيان البلاد العربية . وكانت من الاتفاقيات التي بقي امرها مكتوما حتى ظهور البلاشفة في روسيا وانتقال زمام الامور في تلك البلاد اليهم فانفضح اذ ذاك امرها ، ولكن انكلترا اجابت على سيل الاسئلة والاعتراضات والاحتجاجات الصادرة عن المراجع العربية بقولها: «ان هذه المعاهدة كانت عقدت حين كانت روسيا مشتبكة بالحرب تأميناً لايجاد تضامن بين الحلفاء ، ولكنها لم تعد سارية المفعول بعد خروج روسيا من الحرب خصوصاً وان العرب انضموا الى الحلفاء» .

ان انكلترا وان لم تكن متمسكة بهذه الاتفاقية كثيرا ولكنها اضطرت الى تنفيذ مضمونها بعد التعديلات التي تقدم ذكرها بشأن الموصل وفلسطين نزولا عند رغبة الحكومة الفرنسية وإلحاحها اذ اصرت على التمسك باحكامها، ومما ساعد على ذلك رغبة انكلترا باستخلاص فلسطين باجمعها لنفسها سيما وان اللورد بالفور كان وعد باسم الحكومة البريطانية باعطاء وطن قومي لليهود فيها وهذا لا يتم الا اذا استولت بريطانيا على فلسطين باجمعها .

مارك سايكس يتحدث عن قصة بيض الرخ وفلسطين

وبهذه المناسبة اذكر حديثا حضرته بالذات عام ١٩١٩ حين كنت لا ازال تلميذا وكنت في دمشق ضيفا على المرحوم السيد احمد الحسيبي نقيب الاشراف ورئيس البلدية اذ ذاك . فقد هبط دمشق السر مارك سايكس احد الطرفين المتعاقدين ومعه السيد عابدين الحشيمي احدضباط الارتباط الفلسطينيين ونزل في فندق خوام ، وعقد اجتماعاً مع نخبة من وجهاء دمشق وعلمائها وكان بينهم نفر من رجالات فلسطين العاملين . وكان السيد احمد الحسيبي رحمه الله مدعوا لحضور ذلك الاجتماع الذي لم يتسن للسيد الحشيمي حضوره لمناسبة تغيبه في مهمة خاصة . فاصطحبني السيد الحسيبي معه للترجمة . وخلال الحديث اراد احد الحضور الاستيضاح عن قضية فلسطين ووعد بلفور فوجه سؤالا الى السر مارك سايكس عما اذا كان الوعد المقطوع للشريف الملك حسين بشأن استقلال فلسطين بصفتها من البلاد العربية لا يزال نافذ المفعول ؟ فأجاب السر مارك سايكس على الفور باللغة العربية التي كان يلم بها بهذه الجملة . « ان نيل فلسطين اصعب من نيل بيض الرخ . » (ويقصد دخولها ضمن نطاق البلاد العربية التي وعدت بالاستقلال) . ولما سئل عن سبب ذلك وعن الداعي لاخراج فلسطين من نطاق البلاد العربية الموعودة بالاستقلال أجاب : « إن وعود ماكماهون والحكومة البريطانية لم تتضمن في وقت ما الاشارة بصراحة وجلاء ، ان فلسطين داخلة ضمن البلاد العربية ، إذ لو حدث ذلك لكان معناه اخلال انكلترا بالتزاماتها وتعهداتها » . هذا هو مجمل الحديث وقد سمعته بالذات ودونته في مفكرتي .

اثر التصريح: معاهدة سايكس بيكو: لجنة الاستفتاء الاميركية.

احدث هذا التصريح سوء اثر ادى الى عدة استيضاحات وتفسيرات حقوقية، كما احدث رد فعل قوي كان له تأثيره في السنين التي تلت. ومنذ ذلك الحين لم تعد احكام اتفاقية سايكس بيكو خافية على أحد، وعلم من يهمهم الأمر أن الثورة العربية الكبرى التي اعلنت بالحجاز في ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ لتحرير البلاد العربية بالاتفاق مع الحلفاء استناداً الى الوعود المقطوعة من قبل هؤلاء الحلفاء لم تأت ثمارها اذ لم تحترم نصوص هذه العهود. وفسر القسم الاكبر منها على خلاف حقيقتها وبما يتفق مع مصلحة المفسرين. ولم تنفع تقارير لجنة الاستفتاء التي اوفدها الرئيس ولسن لسوريا والتي ايدت أن الاكثرية الساحقة من اهالي البلاد لا تعترف بتدخل فرنسا بشؤون سوريا الداخلية أو بانتدابها عليها، وكان هذا رأي المسلم والمسيحي على السواء كما كانت الثورة العربية التي اعلنت في الحجاز قائمة على تضامن العرب جميعا سواء في ذلك المسلم والمسيحي، اذ قاموا باعبائها متفقين متضافرين.

المؤتمر السوري العام: محادثات فيصل ـ كليمنصو

اما وقد وصلنا الى هذه النقطة من الحديث فقد أصبح لزاما علينا ان نسرد مجملا وباختصار، الحوادث التي تلت هذه المناورات السياسية.

ادرك العرب جميعاً وخصوصاً السوريين واللبنانيين أنه لا مندوحة عن العمل بسرعة فرأوا ان افضل وسيلة لوضع الدول الأجنبية تجاه الأمر الواقع هو اعلان الاستقلال. ولما كان هذا يجب ان يتم بواسطة ممثلين شرعيين لجميع اقسام البلاد فقد توافد ممثلو البلاد العربية وعشائرها فكونوا ما سمي المؤتمر السوري العام. وبدأ هذا بعقد جلساته لبحث هذه الأمور، ولسماع

آراء الامير فيصل الذي كان لا يزال يتولى القيادة العامة للجيش العربي الذي يحتل المنطقة الشرقية ويعرف دولياً باسم جيش الاحتلال المرتبط بقيادة الجنرال اللنبي . وفي هذه الاثناء استدعي الامير فيصل لاوروبا لابحث في شؤون البلاد ، وكانت هنالك محادثات بينه وبين المسيو كليمنصو يقال انها انتجت اتفاقا متبادلا توصل كليمنصو لاقراره بصعوبة لأن بعض العناصر الرسمية للحكومة الفرنسية كانت جد متصلبة ، ولم يكن بـد للمسيو كليمنصو من معالجة القضية بالروية والاناة حتى توصل الى حمـل الاحزاب المعارضة على قبول فكرته ، على انه مع ذلك لم يكن بالامكان ابرام تلك الاتفاقية التي ستعرف فيما بعد باسم معاهدة فيصل كليمنصو(١)

---

(١)

اتفاقية فيصل كليمنصو

نصت اتفاقية فيصل كليمنصو مجملاً على ما يأتي :

١ – ان فرنسا تتعهد ان تضمن استقلال سوريا بحدودها كاملة .

٢ – يتعهد الملك فيصل بان يطلب ما تحتاجه سوريا من مستشارين، لينظم مختلف الشؤون المفتقرة للاصلاح، من فرنسا وحدها.

٣ - يكون المستشار المالي الذي ستبعث به الحكومـة الفرنسية لسوريا ذا صلاحية لتنظيم شئون الدولة المالية بما فيها تنظيم الموازنة ووفاء الديون العامه التي يعود على سوريا دفعها وفقاً لنظام تصفية الحكم العثماني وتنفيذاً لاحكام معاهدة الصلح المعقودة مع تركيا . كما يكون مراقب الاشغال العامة ومستشارها الفرنسي مكلفاً ومعيناً بالاشراف عـلى كافة وسائل النقل والخطوط الحديديه .

٤ – يكون لفرنسا حق تمثيل سوريا الخارجي بواسطة ممثليها الفرنسيين بالخارج .

٥ – تنظم فرنسا مصالح الجيش والشرطة والدرك وما يتفرع عن ذلك .

٦ تعترف سوريا بانتداب فرنسا على لبنان وتحترم حدوده .

٧ – يعين مندوب سام فرنسي لتمثيل حكومته في سوريا .

٨ – تمتاز اللغة الافرنسية بميزة اجبارية تدريسها في المدارس السورية .

٩ – يكون لمرفأي الاسكندرونه وبيروت ميزة خاصه ويعتبران كميناثين حرين .

١٠ – ترضى سوريا باستفتاء الاقليات اللبنانية ليتيسر تحديد حدود لبنان على صورة موافقه .

١١ – ترضى سوريا بان يمنح جبل الدروز الحكم الذاتي .

لأن الامير فيصل ، مع رغبته في التوصل الى اتفاق ، لم يشأ أن يبت بالامر قبل الرجوع الى المؤتمر السوري والشعب العربي . ولما عاد الى دمشق رأى توتراً شديداً وهياجاً فكرياً ناتجين عن وصول أخبار مبالغ فيها عن المعاهدة المزمع عقدهـــا . فرأى بطبيعة الحال ان لا يذكر عنها شيئا .

اعلان الاستقلال ووحدة البلاد العربية ورد الفعل الناتج عن ذلك

وكان المؤتمر السوري قد انتهى من نتيجة مباحثاته مقراً استقلال البلاد وملكية الامير فيصل ، فاعلن قراره هذا في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ بعد ان استمع الى خطاب الامير فيصل في جلسة ٦ آذار سنة ١٩٢٠ وبه أتى على ذكر الوحدة العربية ، الامر الذي اقره ايضا المؤتمر السوري ذاكراً العراق وفلسطين .

تلبد الجو السياسي إثر اعلان الاستقلال ، وعده بعض الساسة البريطانيين خروجا على تعليمات القيادة العامة الانكليزية التي لم تسمح بتشكيل حكومة مدنية فأسرع اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا بالاحتجاج مبيناً أن حكومته لا تعترف لأية هيئة بحق التكلم والبحث بأمر فلسطين والعراق . وتوالت الحوادث سراعا إثر ذلك ، والفرنسيون دائبون على تعزيز جيوشهم . ولما كان عدد كبير من جنودهم محاصرا في عينتاب وكليس واورفه اراد الجنرال غورو ان يرسل بعض المهمات والعتاد الى هذه الجيوش عن طريق سكة حديـــد سوريا فأبت الحكومة السورية السماح بذلك لأن ممثل فرنسا لم يعترف بالحكومة السورية وبالاستقلال المعلن ، ولذا فان سوريا رأت أن لا تتداخل في النزاع القائم بين فرنسا والأتراك وان تبقى على الحياد . وفي هذه الاثناء

كانت قد انتهت الدول من المساومات السياسية فأبرم قرار سان ريمو بجعل سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وفلسطين والعراق تحت الانتداب الانكليزي، ولم يكد يعلن هذا القرار حتى عمّ الاستياء والهياج سائر البلاد العربية ، وتلا ذلك قرار الحكومة السورية بالدفاع عن البلاد تجاه أي طاريء . حينئذ دعا الانكليز الملك فيصل للذهاب الى اوروبا للمفاوضة ولكن الجنرال غورو لم يشأ تسهيل سفره مدعياً بأن هنالك انذاراً سيقدم له ، وما لم يقبل مضمونه فانـــه لن يسمح للملك بمغادرة البلاد . والانذار المعني هو ذلك الانذار المؤرخ في ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ الذي تلته حوادث التعبئة ومعركة ميسلون التي انتهت بدخول فرنسا دمشق ثم باقي البلاد السورية على نحو ما يعلمه كل منا مما لا مجال لسرده وتفرعاته هنا ، كما لا مجال لذكر شيء عن مدة الخمسة والعشرين عاما التي قضاها الفرنسيون في هذه البلاد مستبيحين لانفسهم خلالها استعمال مرافق البلاد وثروتها ، وانتهاك الحرمات وخرق دستور الانتداب ، وتقطيع اوصال البلاد ، حتى والتخلي عن اقسام مهمة منها الى دولة اخرى .

الثورة السورية ومعاهدة فرنكلن بويون

واكتفي بالتنويه بمعاهدة فرنكلين بويون الموقعة في انقره خلال شهر تشرين الأول ١٩٢١ والتي جرى تعزيزها بموجب بروتوكول معاهدة حسن الجوار الموقعة في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٦ ، وقد اتفق الفرنسيون بواسطتها مع الاتراك على اتخاذ التدابير الفعالة لقمع الثورة السورية لقاء منحهم سنجق الاسكندرونة وقبول الاتراك انفاذ احكام الاتفاقية ، فان فرنسا خرقت بذلك احكام الاصول الحقوقية السياسية الدولية وخولت نفسها

صلاحية لم يكن نظام الانتداب الجائر نفسه قد خولها اياها . هذا النظام الانتدابي الذي قضت المادة الرابعة منه على الدولة المنتدبة بالمحافظة على وضع البلاد الراهن وعدم اجراء أي تغيير في حدود البلاد المشمولة بانتدابها ، ولكن خوف فرنسا هذا لم يكن الوحيد او الاول من نوعه ، ففي الاطلاع على مقدمات حرب ميسلون والمتناقضات التي ظهرت من الفرنسيين عبرة للسياسي العاقل . ولم يكن عمل الفرنسيين خاليا من الموجبات الحقوقية فقط ، بل كان غير منطبق على ابسط احكام المنطق والرزانة والضمير السليم .

نتائج التجارب : المنظمات الشعبية الاجتماعية والاقتصادية :

توحيد الصفوف

ربع قرن مر على البلاد قاست خلاله الامرين ولكنها خرجت من التجربة ظافرة بالنتائج التالية :

١ – ارتفاع درجة نضجها وادراكها السياسيين وتعلمها الكياسة واللباقة في الامور الدولية الخارجية ، وأهم من هذا كله توحيد الكلمة تجاه المصاعب والتضحية في سبيل عزة الوطن .

٢ – عزمها على دفع العدوان وانقاذ البلاد من الانتداب ، وسعيها يدا واحدة للوصول الى هذه النتيجة باتخاذ جميع التدابير المؤدية اليها ، ومنها كسب ثقة العالم الخارجي ومعالجة المسائل بالحكمة والتؤدة ، ومعرفة أن الحق يؤخذ بالمثابرة على طلبه وانه لم يسبق في التاريخ ان نالت أمة استقلالها عطاءً .

٣ – أن لا شأن للمذاهب والاديان في حرية البلاد واستقلالها ، إذأن

الدين لله والوطن للجميع . وأن كل محاولة تفرقة تأتي عن هذا الطريق يجب مقابلتها بحزم وشدة ، وان العبرة للجنسية وحدها .

٤ - ادركت هذه الامة أن السعي وراء المادة امر من شأنه أن يحط من كرامة الفرد والمجموع ، وانه لا سبيل للجمع بين المطامع الفردية والمنافع الشخصية ، وبين العزة والكرامة القومية والاحتفاظ بالحرية والاستقلال ، وان التردد في تلبية نداء الواجب يجر الويلات على الامة ، وان تأخير القيام بما يجب عمله الساعة لما بعدها من شأنه اضاعة الفرص فلا يمكن تعويضها او تلافي ما فات منها .

٥ - أن ليس للسياسة العالمية مبدأ او أساس واضحين يصح الركون إليهما او الاعتماد عليهما ، كما انه ليس لوعـــد قيمة إذا تنازعته المطامع والاهواء . فالمساومة السياسية كانت ولا تزال رائدة الدول المستعمرة منذ القديم ، ومن تتبع الحوادث التاريخية منذ عام ١٨٧٠ حتى اليوم يرى أن الجانب الأعظم من المعاهدات المعقودة بقيت مهملة ، وأن المطامع الدولية والمساومة كانت تطغى عليها .

وقد شاءت الظروف السياسية العالمية أن تتطور الأمور لصالح هذه الأمة التي ضحت كثيراً وتألمت خلال ربع قرن ، قاسى خلاله أبناؤها النفي والتشرد والظلم والاستعباد ومصادرة الأملاك ، وحجز الحريات الى اكثر درجة يتصورها عقل بشري ، فأتاحت لها فرصة التخلص من كابوس الانتداب ، واعلان استقلالها واستعادة عزتها وكرامتها وصيانة حقوقها . وهنا يحق لنا ونحن على عتبة تطور عظيم أن نتساءل في كثير من التأمل ما اذا كانت الحوادث الماضية قد أعدت هذا الشعب وقادته الاعداد الكافي لمعرفة كيفية تحمل المسؤوليات والنهوض بأعباء ادارة

البلاد على صورة كافلة سير الأمور على نهج قوي يرضي الضمير والوجدان ويمنع شماتة العدو المراقب . نحن نرجو أن يحقق الله آمالنا فقادة الأمة هم محط آمالها ، وهي تنظر اليوم بعين المتوسل بأن يبقوا على العهد محافظين لأن العهد كان مسؤولا ، وأن لا يهنوا وان يظلوا متضامنين لصد كل خطر مفاجيء فلا يستسلمون للظروف ويكتفون بالتمني والترجي ، بل بالسعي لنيل القصد بلا تأخير وبكل وسيلة مستطاعة . ولا شك بأن النهضة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد خرجت عن طورها الراكد ، وبدأ النشاط الصناعي يدب في الأمة التي رأت أنه لا حياة لشعب ليس له من وضعيته الاجتماعية والاقتصادية خير مستند يقيه شر العوز والالتجاء إلى الأجنبي لتأمين كيانه ، وقد ادرك بداهة أنه لتأمين هذه الغاية ، على الأمة أن تتولى القيام بأمرين هامين لتحقيق المطلب الأساسي :

١ – توجيه نظر المجتمع واقناعه بضرورة إحداث حركة فكرية ، وتأسيس روابط ثقافية واجتماعية يكون من شأنها تنمية معنوياته ووضع اسس استقلاله على كيان ثابت متين ، كما وتأسيس الاحزاب الأدبية والسياسية لتكون همزة وصل بين سائر الطبقات ، والعمل في الوقت نفسه على الاكثار من دور العلم والثقافة وزيادة عدد المدارس وايفاد البعثات العلمية والصناعية الفنية . اذ بذلك وحده يمكن احداث انقلاب فكري اجتماعي يعود على البلاد بالفائدة المثلى ، ويكوّن من جماعاتها ومختلف عناصرها وحدة لا تتجزأ ويحدث بينهم الالفة والاخاء والوفاق ويوقد فيهم الحمية ، فيعملون بإخلاص وصدق نية على اعلاء كلمة الأمة وشأن الوطن ، وتيسير تكوين منزلة اجتماعية مرموقة تؤخذ بعين الاعتبار من قبل الدول الأجنبية والشعوب العالمية ، فيحق لها إذ ذاك أن تسمع

صوتها عاليا ، وان تستفيد من الظروف العالمية السانحة . وقد تحقق أن للمؤتمرات والمنتديات الاجتماعية في هذا العصر الاهمية البالغة لنشر دعاية مقبولة صحيحة لكل امة ترغب في الحياة الحرة ، ولذا وجب أن يسعى الكل الى ذلك تأميناً لحصول الغاية المنشودة .

٢ - العمل على إنماء النهضة الاقتصادية وتسيير عجلة الدولاب التجاري على صورة واسعة النطاق ، وذلك باستثمار موارد البلاد الزراعية والمعدنية وتشجيع الروح الصناعيـــة ، وتأسيس رؤوس الاموال وتحويلها الى شركات مساهمة تعمل على خلق المعامل والمصانع ، فتستخدم الموادالأولية في البلاد عوضاً عن تصديرها ، وتزيد معدل صادراتها من فائض موادها، فيتعادل ميزانها التجاري وتتمكن الأمة هكذا من حفظ ثروتها المادية وعدم تسربها للخارج فتصبح البلاد في مأمن من العجز المالي والضائقة الاقتصادية ويتسنى لها تركيز نقدها على أسس ثابتة لها ارتباطها بالاسواق العالمية .

الميدان الصناعي والزراعي

وقد اثبتت الوقائع أن البلاد تقدمت شوطاً بعيدا في تأمين المطلبين المذكورين فأسست مصانع عدة ومعامل للمنتوجات ، كما بدأت باستثمار حاصلات البلاد ، واستقدمت من الخارج عددا من الاخصائيين في صنع تلك المواد ، واهتمت بالمنتوجات الزراعية والتشجير ، وعملت على ازدهار جميـــع موارد ثروتها ، وخطت خطوات واسعة في سبيل تحسين طرق الفلاحة والزراعة باستعمال أحدث الأوائل الفنية ، واتباع انجع الطرق المؤدية الى نهوض المستوى الزراعي ، وهكذا وجدنا أن نسبة صادراتها زادت عن ذي قبل ، بينما استغنت عن كثير من المواد والمنسوجات التي

كانت تبتاعها من الخارج ، فزادت بذلك ثروتها المادية ، ونشطت في الحقل الزراعي فزادت وارداتها من الحبوب والزيتون ، وأصبحت قادرة على تصدير الكثير من هذه المواد بعد أن تكون سدت حاجتها منها . ولا تزال النهضة هذه مضطردة النمو مما يبشر بمستقبل اقتصادي زاهر . وفي الميدان الاجتماعي تقدمت تقدماً محسوسا فتأسست أندية علمية أدبية ثقافية وتمثيلية ، وأحزاب ومحافل سياسية جعلت تعالج المشاكل الاجتماعية بحنكة ، وزاد عدد الصحف والمجلات ، وأقبل الأهلون على ارتياد دور الأدب والاكثار من المطالعة وقراءة الصحف ، والاهتمام بالاخبار العالمية فأصبحت هذه البلاد معروفة في اوروبا والعالم أجمع بالمعنى الصحيح .

الجامعة العربية

ولا اريد ان انهي هذا الحديث دون ذكر كلمة عن جامعة الدول العربية (١) بصفتها مؤسسة ومنظمة ذات كيان اجتماعي وسياسي شاملين . لقد تأسست هذه الجامعة وهدفها الأوحد توحيد كلمة الشعوب العربية وتوجيهها الى تعزيز كيانها ، وتأييد روابط استقلالها ، وتكوين حلف بينها على مرّ الزمن يكون بمثابة العروة الوثقى ، واستغلال هذه الوحدة لتوطيد دعائم كيانها . وهذه الغاية كانت ، ولا تزال ، بلا ريب مطلب الجميع ومحط آمالهم ، وقد مضى على تأسيس هذه المنظمة نحو خمس سنوات فهل نجحت يا ترى فيما سعت اليه ، وهل كانت النتائج الحاصلة داعية للاستبشار ومحققة للآمال ؟ إن المتأمل بمجرى الحوادث ، والمفكر الدقيق

(١) للمؤلف محاضرة خاصة عنوانها [جامعة الشعوب العربية] نشرت خلال عام ١٩٤٤ ، في مجلة الجامعة الاسلامية التي تصدر في حلب . وفيها بحث شامل عن اهداف الجامعة وطريقة السير بها .

لا يسعه ان يجيب على هذه النقاط بالايجاب ، بل لا يسعه ان يتفاءل خيراً من وجود هذه المنظمة التي ، حتى الساعة ، لم يظهر منها عمل حقيق بالشكر او بالذكر ، بل كانت مساعيها عبــارة عن سلسلة اجتماعات غير منتجة بالمعنى الصحيح ، ومباحثات هي اشبه بالأخذ والرد غير المجـديين ، ولم يكن لها من أثر فعال مجد للبلاد العربيـة ، وعلى العكس من ذلك فقد احدثت بلبلة في الأفكار ، وفرقت بـين الأحزاب والطوائف فانقسمت البلاد العربية الى جبهتين او اكثر تعمل كل منها ضد مصالح الاخرى على صورة اصبحت بارزة للعيان . هـذا وان كانت المظاهر تدل احياناً على عكس ذلك ، ورغم التصريحات التي يـدلي بها المسؤولون عن ان الامور تسير على صورة محمودة ، فانه لم يعد بالامكان ستر الفشل الذي منيت به هذه المؤسسة ، فهي عدا عن انها لم توفق بتنفيذ اي مشروع يؤمن الخير والرخاء والوفاق للبلاد العربية فقد اضرت بسمعة البلاد ، وجعلت العالم الخارجي على يقين من عدم وجود رابطة معنوية قوية بين رجالها وقادتها. واذا القينا نظرة فاحصة نرى ان منشأ هـذا كله حب السيطرة والمطامع الشخصية ، ورغبة المنتفعين باتخــاذ نفوذهم السياسي الجامعي سلماً لنيل رغباتهم ومآربهم ، وليس هذا ما يؤدي الى النجاح بل هو باعث للفوضى وتفكك عرى الاتحاد . وهـذه الحوادث المؤسفة التي تتوالى على البلاد العربية كلها هي اكبر دليل على عدم نجاح هــذه المنظمة ، زد على ذلك الاموال الباهظة التي ترصد لها فتصرف هباء في ظروف نحن فيها احوج لمداراة اقتصاديات البــلاد بالروية ، ومعاملة مموليها ودافعي ضرائبها بالحكمة .

نظام تأسيس الجامعة واهدافه

لقد نص نظام تأسيس الجامعة العربية على مادة خاصة وهي المادة التاسعه التي اباحت للدول العربية ان تعقد اتفاقات مختلفه تأييداً للروابط القومية بينها ، كما أتاحت إمكان تأليف اتحاد بين دولتين او اكثر من دول الجامعة اذا هي رأت ذلك في مصلحتها درن ان يكون الجامعة بصفتها المجملة حق الأعتراض، بل بالعكس يكون من واجبها تشجيع ذلك الاتحاد العتيد ومن ثم تأييده بشتى الوسائل . كما نص النظام المذكور ايضا على ان اقتصاديات البلاد العربية يجب ان تحدضمن دائرة محكمة متناسقة الانظمة تيسر لكافة الحكومات العربية السير على منهج اقتصادي ،وحد مضمون العواقب مؤمن للرفاه وازدياد الثروة المحلية ، هذا ومن الوجهتين الاجتماعية والسياسية كان بين الاغراض التي تأسست الجامعة العربية من اجل اقرارها هي الآتية :

١ – إلغاء جوازات السفر بين البلاد العربية وتيسير الاتصال بين مختلف شعوبها .

٢ – الغاء الحواجز الجمركية .

٣ – توحيد مناهج التعليم ونشر الثقافة على نطاق واسع .

٤ – توحيد النزعات والمناهج الدبلوماسية السياسية .

٥ – توحيد النقد وتعزيز الروابط الاقتصادية واستثمار منابع الثروة المحلية . وكان كل عربي مؤمن بقوميته ووطنيته ينتظر بفارغ صبر ان تحقق الاهداف المارة الذكر. ولكن خابت الآمال المعقودة ويا للأسف. ومضت سنوات خمس لم يقم خلالها اي دليل على امكان تحقيق تلك الرغبات .

وحتى اليوم لم تظهر بادرة دالة على امكان اخراج ولو واحدة منها الى حيز التنفيذ. وكانت الجامعة العربية بالعكس، وكما قدمنا، عاملاً قوياً في اشتداد النزاع والتفرقة بين الاقطار العربية، ومساعداً على تثبيت اقدام الطامعين في مختلف هذه البلاد، وبث بذور الشقاق والفساد بين رجالاتها عـلى صورة لم يسبق لها مثيل. وكان القوامون الرئيسيون على مجلس الجامعة وأمانة سرها يسعون حثيثاً لتثبيت مراكزهم لا لتأمين النفع العام الذي إنما انتدبوا للعمل على صيانته وإقراره. ولم تؤد اجتماعات الجامعـة ومشاوراتها الى تثبيت دعائم السلم في الشرق، بل زادت النار استعاراً والاضطراب والتفسخ تفشياً، وخلصت سياستها النفعية المارة الذكر الى تشريد مليون من العرب وموت الأبرياء منهم مـن الجوع والفقر والمرض. وقضت على امكان حل القضايا العربية قضاءً مبرماً، وسلمت موارد البلاد للطامعين لقاء تأمين منفعة شخصية أو اتاوة تافهـة لا تسمن ولا تغني من جوع. ولقد أدت سوء ادارتها إلى تدخل الاجنبي على صورة واسعة فانقلب استقلال البلاد العربية الى استعمار واسع النطاق فكنا ولا نزال نرى، بفضل هـذه الجامعة المتفسخة، الانقلابات تترى في شتى البلاد العربية، من اليمن الى مصر وسوريا وغيرها، وحوادث الاغتيالات والخيانة الوطنية والمتاجرة بالوطن وابنائه وامواله والفضائح والثورات الداخلية قائمة على قدم وساق مما يهيب بأبناء الوطن ان يهبوا لايقاف هؤلاء الجناة عند حدهم فيصلحوا هذا الجهاز الفاسد باقصاء عناصر الشغب والفساد والنفعية عـلى أية صورة كانت فيصبح بالامكان تأمين سلامة المجتمع وابعاد شبح الخراب عن هذه البلاد التي طال نضال اهلها من اجل الاستقرار، وهم انما كافحوا لالغاء الانتداب حباً بنيل حريتهم ولم شعثهم

وجمع شتاتهم وزيادة مواردهم الحيوية ، ولكنهم منوا بماهو أدهى وأمر من الانتداب والاستعمار ، منوا بتفسخ داخلي وخارجي من شأنه أن يؤدي حتما الى التداخل صراحة وعلناً في شئون البلاد العامة والخاصة، وقديماً قيل « وكل من لا يسوس الملك يخلعه ». فلندع الله مخلصين بأن ينقذنا من نظام جامعي كهذا ومن اشخاص نفعيين كهؤلاء، وأن يبدلنا خيراً منهم واكثر نفعاً للوطن والوطنية لعلنا بذلك نتمكن من توطيد كيان ثابت مستقر نحن بمسيس الحاجة اليه . وليكن رائدنا العمل بإخلاص وأمانة وتجرد وهدفنا الاسمى عزة الوطن والضرب على ايدي الخونة الفجار من ابنائه أياً كانوا وحيثما حلوا ، ولتكن هنالك جماعة امناء على مصلحة الشعب يترصدون عمال السوء في كل ناحية من الجزيرة العربية ، ويلفتون نظر اولي الامر اليهم للحد من نشاطهم ومحو اثرهم فتنجو البلاد من اذاهم ، ويكونون عبرة لسواهم.

وليست الجبهة الاجتماعية بأقل حاجة للأصلاح فاننا لانزال هائمين كالمتشردين اذ لا مجتمع ثابت الكيان يربطنا ، ولانواد عامة تجمعنا فتحدث الألفة بيننا، وتكون عاملا هاماً لتوحيد الكلمة للنهوض بالمستوى الجماعي الى درجة كاملة الاركان ، ونفس الشيء يمكن ان يقال عن شتى العوامل الفنية والصناعية والتجارية. فاذا كانت الجامعة العربية وهي المؤلفه لهذا الغرض لم تعمل لما أسست لأجله فليعمل الشعب ورجاله المفكرون المخلصون ، وليكن عملهم درساً قاسياً لمن نبذوا الاخلاص للوطن ، وليزرعوا هكذا الثقة في شتى الميادين ، فتطمئن النفوس ويخرج أصحاب رؤوس الأموال المتحولون عن تحفظهم ، فتتدفق الأموال ويغدو استثمار منابع الثروة الطبيعية ممكناً دون تحكم اجنبي استعماري وتنهض البلاد وتزدهر .

الخلاصة، كلمة الختام

والخلاصة فان الوضع السياسي والاجتماعي لهذه البلاد في حالته الراهنة لا يبشر بمستقبل زاهر اذا هو لم يعالج بالدراية ، واذا لم تستلمه ايد نزيهة عادلة حازمة تسير على نهج عـار عن التحيز والمنافع الشخصية وبعيد عن الاغراض . والطريقة الوحيدة هي تكوين نظام جديد دستوري للحكم يكون مبنياً على اصول حقوقية مشروعة تتفق ونزعة البلاد وتأتلف مع تقاليدها ، وان يحافظ على ما سبق من عهود ومواثيق هي اكثر تآلفاً وتجانساً مع ظروف العالم الراهنة ، والسعي لخلق وحدة بين الحكومات العربية تشمل اقتصادياتها وسياستها الخارجية لما يتفق وكيان كل منها ووضعها الراهنين، وصرف النظر،اثناء الاهتمام بهذا كله، عن العـداوات المتأصلة الموروثة ، وطرح هذه المنغصات الضارة التي جرت على البـلاد واهلها الدمار فاضاعت ثروتها المادية، وتراثها الأدبي وجعلت منها سلعة تتساوم الدول المستعمرة على ابتلاعها. ونعود لنقول انـه من الضروري ان يضع القائمون على الامور نصب اعينهم اختيار احـد امرين اثنين : إما حب الذات والمنفعة المـادية فيهلكون ويعرضون امتهم للخذلان وبلادهم للضياع ، وإما تضحية الذات والـبر بالوطن والاخلاص له فيثبتون انهم اهل للثقة فينقذون البـلاد مما هي فيه من وضع حائر فتصل سفينتها الى شاطيء السلام .

الملاحق الوارد ذكرها في هذه المحاضرة

تأميناً لالقاء ضوء على ماورد في المحاضرة بشأن المعاهدات والاتفاقات والبيانات الرسمية المعطاة من قبل الدول التي يعنيها الامر ، لقد اضفنا فيما يلي وفي اربع ملاحق نص معاهدة سايكس - بيكو ، والاتفاق البريطاني الفرنسي الخاص بدول الشرق ، والبيان الانكليزي الفرنسي المشترك واخيراً بياناً عن السياسة البريطانية الفرنسية في الشرق ، وهذه من شأنها ان تفسح المجال للقاريء ان يتفهم على صورة واضحـــة ، الاسباب التي بنيت عليها الحوادث والوقائع الملمع اليها فتتكون هكذا لديه فكرة جلية عن الدور الذي لعبته السياسة الدولية في هـذه البقاع من البلاد العربية .

ملحق رقم ١

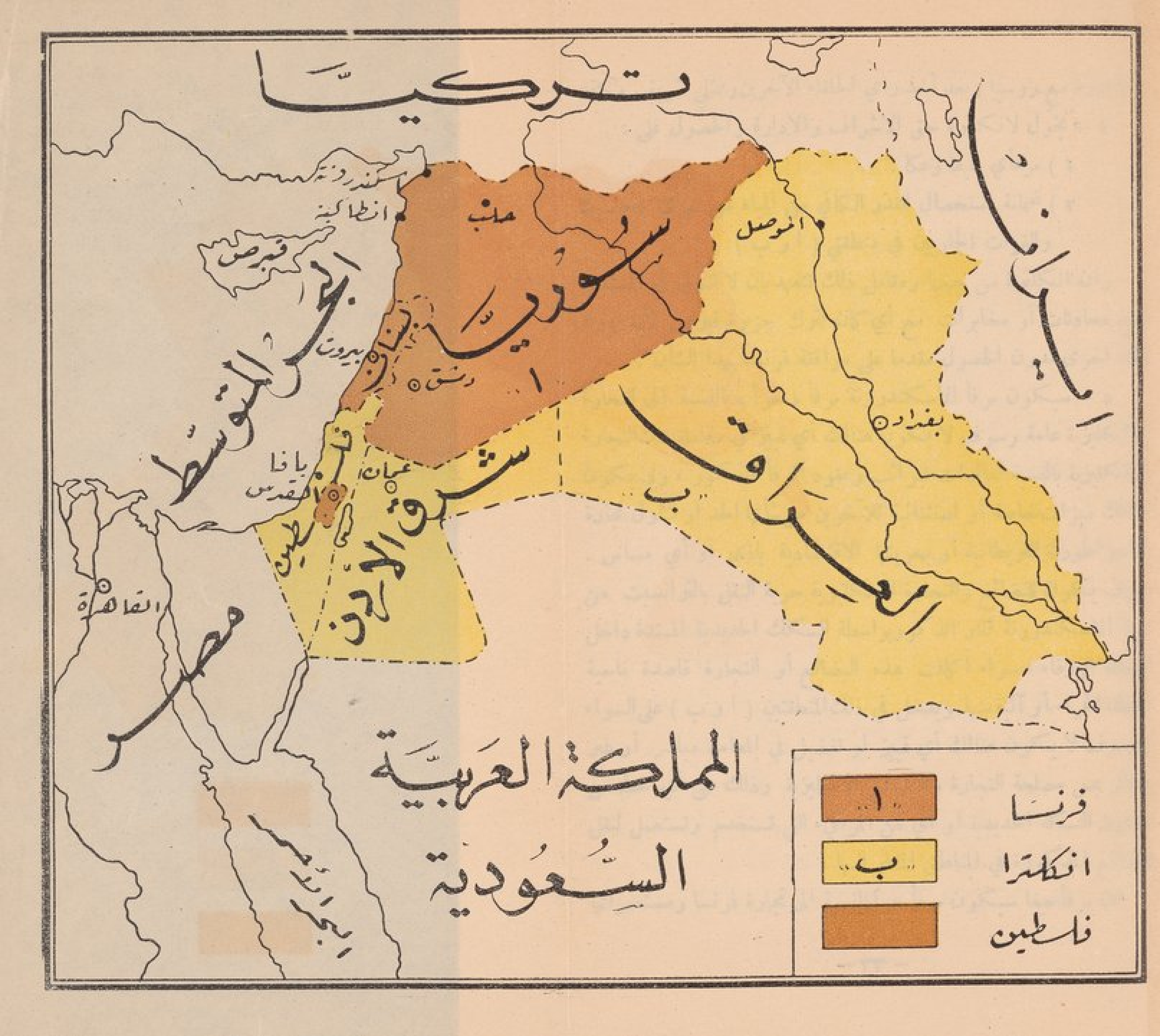
معاهدة سايكس – بيكو :

فيما يلي نثبت مواد معاهدة سايكس بيكو المشهورة المنعقدة بتاريخ ١٦ ايار سنة ١٩١٦ والمعروفة ايضاً باسم الاتفاقية الانكليزية الفرنسية الروسية :

١ – ان دولتي فرنسا وانكلترا مستعدتان ان تعترفا بوجود دولة عربية مستقلة أو اتحاد عربي فدرالي ، وذلك في المناطق المشار اليها بحرفي ا و ب على المخطط المرفق ، يتولى رئاستها أو سلطنتها زعيم عربي . ان فرنسا في المنطقة المشار اليها بحرف (ا) وانكلترة في المنطقة المشار اليها بحرف (ب) هما المسئولتان والمكلفتان وحدهما بتقديم مستشارين وفنيين اجانب أو موظفين اختصاصيين وذلك بناء على طلب الدولة العربية ، وحكومة الاتحاد الفدرالي العربي .

٢ – ان لفرنسا في المنطقة الزرقاء ولانكلترة في المنطقة الحمراء الحرية التامة بتكوين وانشاء ادارة مباشرة أو غير مباشرة أو الاشراف على المناطق المشار اليها تبعاً لما ذكر في مطلع هذه المادة حسبما تريانه مناسباً أو تلحظان ضرورة له وذلك بالاتفاق مع الدولة العربية أو حكومة الاتحاد الفدرالي العربي .

٣ – ستؤسس في المنطقة السمراء ادارة دولية يعين شكلها فيما بعد



تركيا
ايران
البحر المتوسط
سورية
ا
لبنان
حلب
انطاكية
اسكندرونة
قبرص
بيروت
دمشق
الموصل
بغداد
العراق
ب
شرق الاردن
عمان
يافا
القدس
فلسطين
القاهرة
مصر
المملكة العربية السعودية
البحر الاحمر
ا
فرنسا
ب
انكلترا
فلسطين



بالمشاورة مع روسيا وبعد أخذ راي الحلفاء الآخرين وممثلي شريف مكة.

٤ – يخول لانكلترة حق الاشراف والادارة والحصول على :

١) مرفأي حيفا وعكا.

٢) ضمانة باستحصال القدر الكافي من المياه من نهري دجلة والفرات الجاريين في منطقتي (ا و ب)

وان انكلترة من جهتها ومقابل ذلك تتعهد بان لا تتولى في المستقبل فتح محادثات أو مخابرات مع أي كان لترك جزيرة قبرص لأية دولة ثالثة اخرى بدون الحصول مقدما على موافقة فرنسا بهذا الشأن.

٥ – سيكون مرفأ الاسكندرونة مرفأ « حراً » بالنسبة الى التجارة الانكليزية عامة وسوف لا يكون هنالك أي تمييز في معاملة تلك التجارة الانكليزية بالنسبة لعائدات ضرائب وعقود المرفأ المذكور، ولا يكون هنالك ميزات خاصة أو استثنائية للآخرين من شأنها الحد او تناول تجارة الامبراطورية البريطانية أو بحريتها الاقتصادية باذى أو أي مساس. سوف يكون للبضائع والتجارة الانكليزية حرية النقل بالترانسيت من مرفأ الاسكندرونة المار الذكر وبواسطة السكك الحديدية الممتدة داخل المنطقة الزرقاء، سواء اكانت هذه البضائع أو التجارة قاصدة ناحية المنطقة الحمراء أو آتية منها. ويدخل في ذلك المنطقتين (ا و ب) على السواء كما سوف لا يكون هنالك أي تمييز او تفضيل في المعاملة مباشر أو غير مباشر يمس مصلحة التجارة والبضائع الانكليزية وذلك على أي خط من خطوط السكة الحديدية او أي من المرافيء التي تستخدم وتستعمل لنقل البضائع المذكورة في المناطق المشار اليها.

ان مرفأ حيفا سيكون مرفأ حراً بالنسبة الى تجارة فرنسا ومستعمراتها

ومحمياتها وسوف لا يكون هنالك أي تمييز يتعلق بضرائب وعائدات المرفأ عامة من شأنه ان يمس تلك التجارة .

يعترف بحرية امرار البضائع الفرنسية المارة الذكر بالترانسيت بواسطة مرفأ حيفا وكافة السكك الحديدية الممتدة في المنطقة السمراء سواء أكانت هذه البضائع مسيرة صوب المنطقة الزرقاء أو آتية منها وذلك في كلا منطقتي (ا و ب) كما سوف لا يكون هنالك أي تمييز مباشر أو غير مباشر في المعاملة من شأنه ان يمس مصلحة التجارة أو البضائع الفرنسية على أي خط من خطوط سكة الحديد أو أي مرفأ يستعمل لنقل البضائع المذكورة في المناطق المشار اليها .

٦ - ان خط سكة حديد بغداد في المنطقة (ا) سوف لا يمدد نحو الجنوب الى نقطة تتجاوز الموصل وفي المنطقة (ب) سوف لا يمدد شمالا الى نقطة تتجاوز مدينة سامرا وذلك الى حين يتم انشاء خط سكة حديد يصل بغداد بحلب ماراً بحوض الفرات ، وفي هذه الحالة يمكن التمديد الملمع اليه بمساعدة واتفاق ومشاورة الحكومتين الانكليزية والفرنسية المشار اليهما فقط .

٧ - سيكون لبريطانيا العظمى حق انشاء وادارة خط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) على ان تنفرد بملكيته وحدها كما سيكون لها الحق دوما وفي جميع الحالات، بنقل جيوش بواسطة ذلك الخط . ان المفهوم والمتفق عليه بين الحكومتين المذكورتين ان المقصود من انشاء هذا الخط تسهيل المواصلات بين بغداد وحيفا كما هو مفهوم ايضا ومتفق عليه بينهما انه في حالة حدوث صعوبات فنية أو وقوع مصارفات جسيمة بما يتعلق وحماية الخط المذكور الممتد في المنطقة السمراء من شأنها جعل تنفيذ ذلك

المشروع أو الاستفادة منه غير عمليين ، فان الحكومة الفرنسية ستأخذ بنظر الاعتبار والتقدير الموافقة على مشاريع أو مخططات من شأنها تمكين الخط المذكور من اختراق المضلع ذي الزوايا المختلفة الذي يتألف ويمر داخل خط بانياس أم قيس – صلخد – تل عدة مسيرة قبل الوصول الى المنطقة (ب) .

٨ – سيكون النظام الجمركي التركي وتعرفته معمولا بهما في غضون عشرين سنة في كلا المنطقتين الزرقاء والحمراء في منطقتي (ا و ب) وسوف لا يكون هنالك مجال لاحداث أي تغيير أو زيادة في القيم أو الاسعار أو التعرفات المشار اليها وأي تحوير في درجاتها دون الموافقة المتبادلة مقدماً بين الحكومتين المارتي الذكر .

سوف لا يكون أي حاجز جمركي خارجي من أي نوع كان بين المناطق المشار اليها ، وان الضرائب الجمركية المستوفاة في أي من هذه المرافيء والمحطات الداخلة ضمن المناطق المذكورة والموضوعة حسب التعرفة المقررة ، ترد وتدفع الى ادارة حكومة البلاد المصدرة تلك البضائع اليها .

٩ – انه من المفهوم المتفق عليه انه سوف لا يكون من حق الحكومة الفرنسية في أي وقت كان أن تدخل في مفاوضات تهدف الى التخلي عن حقوقها في المنطقة الزرقاء مع حكومة ثالثة غير حكومة الدولة العربية العتيدة أو حكومة الاتحاد الفدرالي العربي ، بدون الحصول مقدماً على موافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية التي بدورها تتعهد للحكومة الفرنسية بتجنب اتخاذ أي اجراء من هذا النوع في المنطقة الحمراء .

١٠ – سوف تتفق الحكومتان البريطانية والفرنسية على الامتناع

عن محاولة التوسع الاقليمي وبعدم الموافقة على توسع من ذلك النوع تود القيام به أية حكومة اخرى ثالثة في شبه الجزيرة العربيه، كما لاتوافقان على السماح لأية حكومة ثالثة بتأسيس أو انشاء قاعدة بحرية في الجزر الواقعة على الضفة الشرقية من البحر الاحمر، على أن ذلك سوف لايكون حائلا دون تصحيح وتعديل حدود محمية عدن الذي قد يرى لزوم لاجرائه تبعاً للظروف ولحالة الهجوم التركي الاخير .

١١ - ان المفاوضات مع العرب بما يتعلق بحدود الدولة العربية أو الاتحاد الفدرالي العربي سوف تجري ضمن نفس الترتيبات التي سبق اتخاذها حتى الآن وعلى نفس الاسس وباسم الحكومتين المشار اليهما .

١٢ - ومن المفهوم المتفق عليه بالاضافة الى كل ما تقدم ان قضية اتخاذ التدابير والاحتياطات للاشراف على نقل واستيراد الاسلحة الى البلاد العربية ستكون موضع مشاورة بين الحكومتين .

ملحق رقم ٢

البيان الانكليزي ـ الفرنسي المشترك

المؤرخ في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨

ان الغاية الاساسية التي تسعى الدولتان البريطانية والفرنسية للوصول اليها والهدف الاسمى الذي ترميان اليه من متابعتها في الشرق الحركات والعمليات الحربية التي اوجبت حدوثها وانتشارها المطامع الجرمانية، هو التحرير الكامل والقطعي للشعوب التي ما برحت منذ عصور طويلة تئن تحت نير الاستعمار والاستعباد التركيين، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها وصلاحياتها من ارادة تلك الشعوب المحلية بكامل اختيارها الطليق.

وتنفيذاً لهاته المقاصد والمبادىء العالية فقد اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على بذل الجهد والمساعدة، لتأسيس حكومات وادارات محلية وطنية في سوريا والعراق اللتين اصبحتا الآن محررتين بواسطة الحلفاء، وفي البلاد الاخرى التي لا يزال الحلفاء المذكورون جادين لتحريرها نهائياً، كما والاعتراف بتلك الحكومات حالما يتم تأسيسها وتوطيدها. ان هدف الحكومتين البريطانية والفرنسية المشار اليهما، لن يكون في وقت من الاوقات، وعلى اي صورة كانت، الرغبة بفرض اية ادارة معينة على تلك الشعوب وفي تلك البلاد، بل انهما ترغبان مد تلك الشعوب بالعون الواسع اللازم والمساعدات الفعالة الكفيلة لقيام تلك

الحكومات والادارات التي تبنت وتعهدت امر تأسيسها بمحض اختيارها بالعمل على صورة قانونية لتوطيد دعائم العدالة بين افرادها دون ما تحيز او سوء تصرف، ولتعمل تلك الحكومات على صورة تكفل تسهيل نمو اقتصاديات البلاد وتدرجها نحو الرقي وذلك بتشجيع حسن الانتاج والعمل الفرديّين المحليّين، ولتوسيع نطاق التعليم والتهذيب ونشرهما بين كافة الطبقات، والحيلولة دون بقاء الانقسامات الداخلية المختلفة التي كانت تستثمر في الماضي من قبل السلطات التركية حسب سياسة تلك السلطات المرسومة . تلك هي نوايا الحكومتين البريطانية والفرنسية التي ترغبان في اقرارها في هذه البلاد المحرّرة .

ملحق رقم ٣

الاتفاق البريطاني الفرنسي الخاص بدول الشرق

كانون الاول ١٩٤٥

بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٩٤٥ ادلى المستر بفن وزير خارجية المملكة المتحدة ببيان في مجلس العموم البريطاني عن انسحاب الجيوش الفرنسية والانكليزية من سوريا ولبنان تضمن ما يلي :

« ان تبادل وجهات النظر المتعلقة بقضايا الشرق الادنى ودوله الذي جرى بين المستر بفن وزير خارجية المملكة المتحدة والمسيو بيدو وزير خارجية فرنسا خلال شهر ايلول الماضي لمناسبة اجتماع مؤتمر الوزراء الخمس، استمر قائماً بينهما منذ ذلك الحين بالطرق الدبلوماسية . وان تلك المحادثات الودية الجارية بروح الصداقة والثقة المتبادلة قد انتجت اتفاقاً بين الفريقين على مختلف الشؤون والظروف المحيطة بالقضايا المبحوث فيها والتي جرت المفاوضات بشأنها .

ان الحكومتين البريطانية والفرنسية ، رغبة منهما بابعاد كافة العناصر المؤذية والخلافات المتكونة بينهما بشأن طريقة النهج السياسي ، تلك الخلافات التي قد تضر بمصالح الفريقين وتشوه حسن التفاهم القائم بينهما ، ذلك التفاهم الحسن ، الذي انما يقصد توثيق روابطه وتعزيزه الى ابعد مدى ممكن ،قررتا الاعتراف بالحقيقة الواضحة بانه من مصلحة حكومتيهما ان تشجعا ، ضمن اطار التعاون الدولي المشترك ، ازدهار اقتصاديات بلاد شعوب

الشرق الاوسط والأمن الجماعي فيها ، كما انه بالنظر لرغبتها المتبادلة بأن تفسحا المجال التام لسوريا ولبنان بان تتمتعا بكامل استقلالها وان تمارسا كافة الواجبات المترتبة على ذلك الاستقلال الذي أعلن من قبل فرنسا خلال عام ١٩٤١ والذي تأيد وتعزز بقبول كلا البلدين في منظمة الامم المتحـــدة، ورغبة منها في الوصول الى النتائج الطبيعية لانتهاء الحركات العدائية بما يتعلق باستعدادات الحلفـــاء العسكرية في الشرق فقد قررتا مجتمعتين بان تدرسا سوية طريقة عملية لانسحاب قواهما العسكرية من هذه المنطقة .

ان الخبراء العسكريين البريطانيين والفرنسيين سيجتمعون في بيروت بتاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٥ لتأييد الغاية المارة الذكر وتنفيذها وسيكون من اهم والزم واجباتهم تعيين موعد عاجل للقيام بترتيب وانفاذ تدابير الانسحاب الاولى .

ملحق رقم ٤

السياسة البريطانية الفرنسية في الشرق

ان الفقرات التالية تتضمن بيان السياسه المتعلقة بالانسحاب المشترك الثنائي للقوات الفرنسية البريطانية من مناطق دول الشرق ، وبرغبة كلتا الحكومتين البريطانيـة والفرنسية في المساهمة بتحسين حالة الشرق الاوسط على وجه العموم . وهو البيـان الذي وافقت عليه حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا . وقد جرى توضيح هذا البيان وتفصيله بمذكرات دبلوماسية جري تبادلها بين وزير خارجية حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين السفير الفرنسي بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٩٤٥

« يجتمع الخبراء العسكريون البريطانيون والفرنسيون في بيروت بتاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٥ للاتفاق على تفاصيل برنامج يوضع بغية تأمين انسحاب قواتها على مراحل يجري تنظيمها وفاقاً لخطة التجمع التي يصير تهيئتها وترتيبها لهذا الغرض .

« ان احدى اهداف تلك المحادثات تكون تعيين موعد قريب جداً لبدء عمليات الجلاء .

« والمفهوم ان الجلاء عن سوريا سيتم على طريقة تجعل من الممكن انسحاب كلا الجيشين البريطاني والفرنسي في آن واحد .

« ان برنامج جلاء الجيوش المذكورة سيوضع على صورة تؤمن استبقاء قوات كافية لتأمين الأمن في تلك البلاد وذلك حتى الوقت الذي

ترى منظمة الامم المتحده أن عوامل السلام والطمأنينة الجماعيـــة قد استتبت فيها، كما وان نظاماً شاملا لتأمين الأمن قـد جرى اتخاذه فيها واقراره .

« وحتى يحين ذلك الموعد فان لفرنسا ان تستبقي قواتها في لبنان متجمعة وعلى اهبة الاستعداد للانسحاب .

« ان حكومة صاحب الجلالة البريطانيه وحكومة فرنسا ستحيطان الحكومتين السورية واللبنانية علماً بتفصيلات برنامج الجلاء وتدعو تينك الحكومتين لان تعينا باسرع مـــا يمكن ممثلين عنهما مزودين بالتفويض والصلاحية التامين للبحث في الاجراآت الواجب الاتفـاق عليها مجتمعاً ومشتركاً نتيجة لذلك ولانفاذ البرنامج الآنف الذكر .

« ان هذه المباحثات ستشمل ايضاً قضية اتخاذ التدابير اللازمة لتمكين الحكومتين اللبنانية والسورية بان تقوما بواجباتها المتعلقة بتأمين الأمن والمحافظة عليه .

« لما كانت حكومة فرنسا الموقته وحكومة صاحب الجلالة البريطانية في المملكة المتحده ، قد درستا بامعان الحالة في الشرق الاوسط درساً وافياً ، تعلنان وتوضحان بان الرغبة الصادقة الملحة المشتركة تحدوهما لاتخاذ كافة ما يلزم مـن الوسائل لتامين اقرار استقلال دول الشرق الاوسط تماماً . ذلك الاستقلال الذي وعدت به ، وللعمل على تأييده واحترامه .

« وتتفق الحكومتان المذكورتان على ان من دواعي مصلحتهما المشتركة ان تعززا وتوطدا وترفعا بالتعاون مـــع حكومات اخرى ، المستوى الاقتصادي لشعوب تلك البـلاد في ظروف عامرة حافلة بالدعة والأمن والطمأنينة . وستتبادلان الرسائل والمخابرات المتضمنة المعلومات

الحاصله والطارئة، والمحتويه على اهم الوسائط الفعالة الواجب استخدامها لتأمين تلك الغاية . وفي الوقت ذاته تكون تلك المخابرات وذلك التبادل في وجهات النظر داعيين للحيلوله دون وقوع اي خلاف بينها يمكن تعريض مصالحها المشتركة المتبادلة لخطر التصدع . وستؤكد كل من الحكومتين البريطانية والفرنسيه حسن نواياها للاخرى ورغبتها التامة بان لا تقوم احداهما باي اجراء من شأنه مقاومة او معاكسة مصالح ومسئوليات الاخرى في تلك البلاد ، وبان تحترم الكيان السياسي لكل من حكومات الشرق الموضوعة البحث وتوليه التقدير والاعتبار التامين « وانها ستعملان في المستقبل ، وفي مثل هذه الروح الودية المتقابلة، لدرس وفحص اية اقتراحات قد تقدم الى منظمة الامم المتحدة في موضوع حسن تأمين السلامة والامن الجماعيين .

ملحق رقم ٥

ونرى ان نختتم هذه الحلقة من الملاحق بما هو آت :

بلاغ الجنرال مود المؤرخ ١٩ آذار ١٩١٧ الى اهالي بغداد

الى اهالي بغداد :

بأسم مليكي وباسم الشعوب التي يحكمها اوجه اليكم البلاغ التالي :

ان حركاتنا العسكرية تهدف الى هزيمة العدو وطرده من هذه المقاطعات. ولأجل انفاذ ذلك فاني قد مُنحتُ صلاحية الاشراف التام ، وفوضت بادارة كافة المناطق التي تعمل الجيوش البريطانية في ميادينها ، هــذه الجيوش التي لم تدخل البلاد كغزاة او اعداء ، ولكنها دخلتها كمحررة صديقه .

منذ أيام « هولاكو » اصبح مواطنوكم عرضة لظلم الاجانب الاغيار وتعسفهم وجورهم ، فتداعت قصوركم وخربت ، وبارت حدائقكم واراضيكم التي كانت عامرة زاهرة وغاضت نضارتها ، كما رزحتم انفسكم تحت نير العبودية . وقد نُحمل اولادكم وبنوكم على خوض غمار حروب ومنازعات لم تكن من عملكم ، كما اغتصبت اموالكم وممتلكاتكم وبددت ثروتكم في اماكن بعيدة ولاغراض لا تنفعكم او تعينكم. منذ الزمن الذي تولى به مدحت باشا الوزارة والاتراك يكيلون الوعود ويقطعون على انفسهم شتى العهود بأصلاح احوالكم وادخال التحسينات المختلفة على اجهزة البلاد ومرافقها ، ولكن الخراب البادي والأطلال الظاهرة للعيان تثبت بجلاء ووضوح كذب هذه الوعود وبطلان تلك العهود .

ان مليكي والشعوب التي يظلها حكمه، والدول العظيمة التي تحالفت واياه جميعاً يرغبون في نجاحكم وإعمار بلادكم وازدهارها لتعود الى اوج مجدها السابق، ذلـــك الوقت الذي كانت اراضيكم خلاله خصبة تدر الخيرات، وحين كان اجدادكم واسلافكم العظام حملة الوية العلم والفن والادب في العالم اجمع، وحين كانت بغداد الزاهية احدى عجائب العالم

ان هنالك بين شعوبكم وبين شعوب مقاطعات ومستعمرات مليكي روابط وثيقة ومصالح مهمة ومنذ مائتي سنة وتجار بغداد يتعاملون ويتبادلون الاتجار مع بريطانيا العظمى في جو متبادل مفعم بالصداقة والفائدة والربح. ومن جهة اخرى فان الالمان والاتراك الذين جرّدوكم من عناصر ثروتكم ونهبوا بلادكم، جعلوا منذ عشرين سنة خلت من مدينة بغداد مركز نشاط تخريبي ونواة تحريض للفتنة،وللعمل على تقويض نفوذ بريطانيا وحلفائها في البلاد الفارسية والعربية. ولذلك فان الحكومة البريطانية لا يسعها أن تظل غير مكترثة بما يجري في بلادكم سواء أكان ذلك في الحاضر أو المستقبل، وان مصالح البريطانيين وحلفائهم تستدعي قيام الحكومة البريطانية باتخاذ ما يجب من احتياطات وخطوات لمنع تكرر تلك الحالات الشاذة التي كان يقوم بهـــا الاتراك والالمان خلال الحرب في بغداد، مرة اخرى.

اما أنتم يا أهل بغداد، الآن وقد غدت مصالحكم التجارية، وأصبح أمر صونكم من الظلم والتعسف، وحفظ بلادكم من الغارات والتعدي محط اهتمام الحكومة البريطانية، لا يجب أن تفهموا من ذلك أن الحكومة البريطانية ترغب أو تقصد أن تفرض عليكم قبول المؤسسات الأجنبية بل أن تعلموا أن الحكومة البريطانية تؤمل أن تتحقق ثانية الآمال التي كانت تجيش في صدور فلاسفتكم وكتابكم الادباء. ان أهالي بغداد سوف ينمون ويترعرعون ويزهون ويتمتعون بثروتهم ويتلذذون بخيراتهم

وذلك بمساعدة مؤسسات هي متناسبة مع ظروفهم الخاصة المحلية ومتناسقة ومتآلفة مع شرائعهم المقدسة وميولهم المثالية .

لقد طرد العرب الاتراك والالمان الذين اضطهدوهم من الحجاز واعلنوا ملكية الشريف حسين عليهم وجلالته الآن يحكم بحرية واستقلال تامين وهو حليف الدول العظمى التي تحارب تركيا والمانيا ، وهكذا فعل أيضاً أشراف العرب ، سادة نجد والكويت وعسير .

ان كثيرين من العرب الاشراف قضوا في سبيل تحرير بلادهم وانفسهم من نير أولئك الحكام الاجانب وماتوا على يد أولئك العمال الاتراك المستبدين، ولذا فقد وطد البريطانيون والشعوب المتحالفة معهم، العزم ان لا تذهب أرواح ودماء أولئك الشهداء العرب ونضالهم سدى. وأن الشعب البريطاني والشعوب المحالفة معه يأملون ويرغبون بان يروا الشعب العربي ينهض ثانية ويصل إلى الشهرة والمجد متبوءاً المركز السامي بين شعوب الارض مندمجاً معها باتحاد ووئام ووفاق .

يا أهالي بغداد : اذكروا انكم خلال ستة وعشرين من الاجيال الماضية ، تألمتم ورزحتم تحت كابوس عبودية حكام مستبدين اجانب ، لم يترددوا بان يزرعوا الشقاق والبغضاء بينكم وبان يجعلوا البيوتات العربية المجيدة تناوي، بعضها بعضاً ويشن قسم منها الغارة على القسم الآخر ، ولذلك لكي يتيسر لهم الاستفادة من هذه التفرقة فيسودوا ويتحكموا بأمان ، ولذلك فقد أُمرتُ بان أدعوكم جميعاً عن طريق اشرافكم وزعمائكم وكباركم وممثليكم ، بان تتعاونوا جميعاً ولتشتركوا في إدارة شئون بلادكم العمرانية مع ممثلي بريطانيا السياسيين الذين يرافقون الجيش البريطاني وذلك ليصفوا الجو وليتيسر لكم الاتحاد مع الاشراف، ذوي قرباكم الموجودين في الشمال والشرق والجنوب والغرب ، سعياً وراء تأمين الغاية السامية المثلى المبتغاة ولتحقيق الاهداف اليومية المنشوده. هـ.

للمؤلف

١ ـ اثر الاديان والمعتقدات في التطور الاجتماعي العالمي .
كتاب بالفرنسية ، اونيفرسيل جنيف ١٩٤٨

٢ ـ المذهب البوذي ومخلفاته للمدنية العالمية وتأثيره في الافراد والجماعات
(محاضرة) باللغة الانكليزية ١٩٤٨ كولومبوبوس سيلان

٣ ـ المعلم زوروواستر وتعاليمه التي يقوم عليها مذهبه
(محاضرة) باللغة الانكليزية ١٩٤٨ جنرال اديشينز بومباي

٤ ـ هل للعالم نهاية ؟ وهل يمكن تحقيق ايجاد دين واحد للجماعات البشرية؟
(محاضرة) باللغة الانكليزية ١٩٤٨ مانجستر (يونايتد)

٥ الآثار المصرية القديمة توت عنخ آمن الاله
كتاب تأليف كارنارقون وكارتر وبورروز . ترجمة المؤلف
المطبعة العربية مصر

٦ ـ الوضع السياسي والاجتماعي لدول حوض البحر المتوسط
كتاب بالانكليزية ١٩٤٩ (لندن) ومحاضرة باللغة العربية
١٩٥٠ المطبعة العصرية صيدا

٧ ـ كونفوشيوس وتعاليمه . اثرها في الحضارة العالمية
(محاضرة) ١٩٤٨ بالانكليزية بومباي جنرال اديشنز

٨ – الحاكم بامر الله الخليفة الاله تأثير اتجاهاته الخلقية والدينية على معاصريه
(محاضرة) ١٩٤٩ بالانكليزية والفرنسية لندن جنيف
وكتاب باللغة العربية قيد الطبع

٩ – هل اثارت تعاليم غاندي تطوراً اجتماعيا دينيا بين اتباعه ومناصريه ؟
(محاضرة) ١٩٤٨ بالانكليزية كولومبوبوس سيلان

١٠ – السياسة والدين في ميزان الحضارة العالمية
(محاضرة) ١٩٤٩ بالفرنسية اونيفرسيل جنيف

١١ – اثر التقاليد في تطور الجنسين الاخلاقي والاجتماعي
(محاضرة) ١٩٥٠ باللغة العربية المطبعة العصرية صيدا



